النوع الثالث والخمسون

في تشبيهه واستعاراته

التشبيه: نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها.

قال المبرِّد في «**الكامل**»(١). لو قال قائل: هو أكثر كلام العرب لم يُبْعد.

وقد أفرَد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البَنْدَار البغداديّ، في كتاب سمَّاه «**الجُمَان**»(٢).

وعرَّفه جماعة، منهم السكاكيّ: بأنه الدَّلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى.

وقال ابن أبي الإِصبع(٣): هو إخراج الأغمض إلى الأظهر.

وقال غيره: هو إلحاق شيء بذي وصف في وصفه.

وقال بعضهم: هو أن تُثبِت للمشبَّه حُكماً من أحكام المشبَّه به.

والغرض منه: تأنيس النفس بإخراجها من خفيّ إلى جليّ، وإدنائه البعيدَ من القريب ليفيد بياناً.

وقيل: الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار.

وأدواته: حروف وأسماء وأفعال.

فالحروف: الكاف، نحو: ﴿كَرَمَادٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وكأنَّ، نحو: ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥].

والأسماء: مثلٌ وشبه ونحوهما، ممَّا يشتقّ من المماثلة والمشابهة.

قال الطِّيبيّ(٤): ولا تستعمل «مثل» إلَّا في حال أو صفة لها شأن، وفيها غرابة، نحو: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧].

والأفعال، نحو: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: ٣٩]، ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

قال في «**التلخيص**»(٥) اتِّباعاً للسكاكيّ: وربَّما يُذكر فعل ينبئ عن التشبيه، فيؤتى في التشبيه

---

(١) الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد (٢٨٥هـ) ص٩٢٢.

(٢) «الجمان في تشبيهات القرآن» تأليف ابن ناقيا البغدادي. وهو: عبد الله بن محمد، شاعر، لغوي (ت: ٤٨٥هـ). «لسان الميزان» ٣/ ٣٨٤، «إنباه الرواة» ٢/ ١٥٦.

(٣) ابن أبي الإصبع: عبد العظيم بن عبد الواحد، البغدادي، من العلماء بالأدب، شاعر (ت: ٦٥٤هـ). «النجوم الزاهرة»: ٧/ ٣٧، «وفيات الأعيان» ١/ ٢٩٤ .

(٤) الطِّيبي: الحسين بن محمد، شرف الدين، محدث، مفسر من عراق العجم (ت: ٧٤٣هـ). «الدرر الكامنة» ٢/ ١٥٦، «شذرات الذهب» ٨/ ٢٣٩.

(٥) «شرح التلخيص» للقزويني ص١٢٧.

القريب بنحو: (عَلِمْت زيداً أسداً) الدالّ على التحقيق، وفي البعيد بنحو: (حَسِبْت زيداً أسداً) الدَّال على الظَّن وعدم التحقيق.

وخالَفه جماعة، منهم الطيبيّ، فقالوا: في كون هذه الأفعال تنبئ عن التشبيه نوعُ خفاء، والأظهر: أن الفعل ينبئ عن حال التشبيه في القُرْب والبعد، وأن الأداة محذوفة مقدَّرة، لعدم استقامة المعنى بدونه.

ذكر أقسامه:

ينقسم التشبيه باعتبارات:

الأول: باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام، لأنهما: إمَّا حسِّيَّان أو عقليّان، أو المشبَّهُ به حسّيّ والمشبّه عقليّ، أو عكسه.

مثال الأول: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠].

ومثال الثاني: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]. كذا مثَّل به في «**البرهان**»(١)، وكأنه ظَنَّ أنَّ التشبيه واقع في القسوة، وهو غير ظاهر، بل هو واقع بين القلوب والحجارة، فهو من الأوَّل.

ومثال الثالث: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

ومثال الرابع لم يقع في القرآن، بل منعه الإمام أصلاً؛ لأن العقل مستفاد من الحسّ، فالمحسوس أصل للمعقول، وتشبيهه به يستلزم جعْلَ الأصل فرعاً والفرعِ أصلاً، وهو غير جائز. وقد اختلف في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

الثاني: ينقسم باعتبار وجهه إلى: مفرد ومركَّب.

والمركَّب: أن يُنتزع وجه الشبه من أمورٍ مجموعٍ بعضُها إلى بعض، كقوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]، فالتشبيه مركَّب من أحوال الحمار، وهو: حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمّل التَّعب في استصحابه.

وقوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤]، فإن فيه عشر جُمل، وقع التركيب من مجموعها، بحيث لو سقط منها شيء اختلَّ التشبيه؛ إذ المقصود تشبيه حال الدنيا في سرعة تقضّيها، وانقراض نعيمها، واغترارِ الناس بها بحالِ ماءٍ نزل من السماء، وأنبت أنواع العُشب، وزيّن بزخرفها وجه الأرض، كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة، حتى إذا طمع أهلُها فيها، وظنوا أنها مسلّمة من الجوائح، أتاها بأس الله فجأة، فكأنها لم تكن بالأمس.

---

(١) الزركشي في «البرهان» ٣/ ٤٧٢ النوع: ٤٦.

وقال بعضهم: وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران:

أحدهما: أنَّ الماء إذا أخذتَ منه فوق حاجتك تضرَّرت، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعتَ به، فكذلك الدنيا.

والثاني: أنَّ الماء إذا طبّقت عليه كفَّك لتحفظه لم يحصل فيه شيء، فكذلك الدنيا.

وقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ . . .﴾ الآية [النور: ٣٥]، فشبّه نوره الَّذي يلقيه في قلب المؤمن بمصباحٍ اجتمعت فيه أسباب الإضاءة، إمَّا بوضعه في مشكاة وهي الطاقة التي لا تنفذ، وكونُها لا تنفذ لتكون أجمع للبصر، وقد جُعل فيها مصباح في داخل زجاجة تشبه الكوكب الدريّ في صفائها، ودُهن المصباح من أصفى الأدهان وأقواها وقوداً، لأنه من زيت شجرة في وسط السراج، لا شرقيَّة ولا غربيَّة، فلا تصيبها الشمس في أحد طرَفي النهار، بل تصيبها الشمس أعدلَ إصابةٍ.

وهذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن.

ثم ضرب للكافر مثلين: أحدهما: ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ والآخر: ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ . . .﴾ إلى آخره، وهو أيضاً تشبيه تركيب.

الثالث: ينقسم باعتبار آخر إلى أقسام:

أحدها: تشبيه ما تقع عليه الحاسّة بما لا تقع، اعتماداً على معرفة النقيض والضّد، فإن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسَّة، كقوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، شُبِّه بما لا يُشكُّ أنَّه منكر قبيح، لِما حصل في نفوس الناس من بشاعة صورة الشياطين، وإن لم ترها عياناً.

الثاني: عكسه، وهو تشبيه ما لا تقع عليه الحاسّة بما تقع عليه، كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ . . .﴾ الآية [النور: ٣٩] أخرج ما لا يُحَسّ ـ وهو الإيمان ـ إلى ما يُحَسّ وهو السراب، والمعنى الجامع: بطلان التوهُّم، مع شدَّة الحاجة وعِظَم الفاقة.

الثالث: إخراج ما لم تجر العادة به إلى ما جرتْ، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٧١]. والجامع بينهما: الارتفاع في الصُّورة.

الرابع: إخراج ما لا يُعلم بالبديهة إلى ما يُعلم بها، كقوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] والجامع العِظَم، وفائدته: التَّشويق إلى الجنَّة بحُسْن الصفة وإفراط السَّعة.

الخامس: إخراج ما لا قوّة له في الصفة إلى ما له قوّة فيها، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الرحمن: ٢٤]. والجامع فيهما: العِظَم، والفائدة: إبانة القُدرة على تسخير الأجسام العظام في ألطف ما يكون من الماء، وما في ذلك من انتفاع الخلق بحمل الأثقال، وقطعها الأقطار البعيدة في المسافة القريبة، وما يلازم ذلك من تسخير الرياح للإنسان. فتضمّن الكلام بناءً عظيماً من الفخر وتعداد النِّعم. وعلى هذه الأوجه الخمسة تجري تشبيهات القرآن.

السادس[1]: ينقسم باعتبار آخر إلى:

مؤكَّد: وهو ما حذفت فيه الأداة، نحو: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل: ٨٨]، أي: مثل مرّ السَّحاب. ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ [الأحزاب: ٦]، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

ومرسَل: وهو ما لم تحذف، كالآيات السابقة.

والمحذوفُ الأداةِ أبلغُ، لأنه نُزِّل فيه الثاني منزلة الأوَّل تجوُّزاً.

قاعدة: الأصل دخول أداة التشبيه على المشبَّه به، وقد تدخل على المشبَّه،

إمَّا لقصد المبالغة، فيقلب التشبيه، ويُجعل المشبَّه هو الأصل، نحو: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. كان الأصل أن يقولوا: إنما الربا مثل البيع، لأنَّ الكلام في الرِّبا لا في البيع، فعدَلُوا عن ذلك، وجعلوا الرِّبا أصلاً ملحقاً به البيع في الجواز؛ لأنَّه الخليق بالحلِّ.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ﴾ [النحل: ١٧]، فإنَّ الظاهر العكس، لأن الخطاب لعبَدة الأوثان الذين سمَّوها آلهة، تشبيهاً بالله سبحانه وتعالى، فجعلوا غير الخالق مثل الخالق، فخولف في خطابهم؛ لأنَّهم بالغوا في عبادتهم، وغَلوا حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة، فجاء الرَّدُّ على وَفْق ذلك.

وإما لوضوح الحال، نحو: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فإن الأصل: (وليس الأنثى كالذكر) وإنَّما عُدِل عن الأصل، لأنَّ المعنى (وليس الذكر الذي طَلبتُ كالأنثى التي وَهبْتَ). وقيل: لمراعاة الفواصل، لأنَّ قبله: ﴿إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وقد تدخل على غيرهما اعتماداً على فهم المخاطب، نحو: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ . . .﴾ الآية [الصف: ١٤]. المراد: كونوا أنصار الله خالصين في الانقياد كشأن مخاطَبي عيسى إذ قالوا . . .

قاعدة: القاعدة في المدح تشبيه الأدنى بالأعلى، وفي الذَّم تشبيه الأعلى بالأدنى، لأن الذَّم مقام الأدنى، والأعلى طارئ عليه، فيقال في المدح: حصى كالياقوت، وفي الذَّم: ياقوت كالزُّجَاج.

وكذا في السَّلب، ومنه: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، أي: في النزول لا في العلوّ. ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، أي: في سوء الحال، أي: لا نجعلهم كذلك.

نعم أُورِد على ذلك: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: ٣٥]، فإنَّه شبّه فيه الأعلى بالأدنى، لا في مقام السلب. وأجيب: بأنَّه للتقريب إلى أذهان المخاطَبين؛ إذ لا أعلى من نوره فيشَبَّه به.

فائدة:

قال ابن أبي الإصبع: لم يقع في القرآن تشبيه شيئين بشيئين، ولا أكثر من ذلك، إنَّما وقع فيه تشبيه واحد بواحد.

فصل: زُوّج المجاز بالتشبيه، فتولَّد بينهما الاستعارة، فهي مجاز علاقته المشابهة. أو يقال في تعريفها: اللفظ المستعمل فيما شبّه بمعناه الأصليّ.

---

(١) هو الرابع من حيث انقسامُهُ باعتباراتٍ، وليس السادس. أفاده الدكتور البغا.

والأصح: أنَّها مجاز لغوي، لأنَّها موضوعة للمشبّه به لا للمشبَّه، ولا لأعمّ منهما؛ فـ: أسدٌ، في قولك: رأيت أسداً يرمي، موضوعٌ للسَّبُع لا للشجاع، ولا لمعنىً أعمّ منهما كالحيوان الجريء مثلاً، ليكون إطلاقه عليهما حقيقة كإطلاق الحيوان عليهما.

وقيل: مجاز عقليّ، بمعنى أن التصرُّف فيها في أمر عقليّ لا لغويّ، لأنَّها لا تطلق على المشبَّه إلَّا بعد ادِّعاء دخوله في جنس المشبَّه به. فكان استعمالها فيما وُضعت له، فيكون حقيقة لغويَّة، ليس فيها غير نقل الاسم وحده، وليس نقل الاسم المجرَّد استعارة؛ لأنَّه لا بلاغة فيه، بدليل الأعلام المنقولة، فلم يَبقَ إلَّا أن يكون مجازاً عقليًّا.

وقال بعضهم: حقيقة الاستعارة أنْ تُستعار الكلمة من شيءٍ معروف بها إلى شيء لم يُعرَف بها. وحكمة ذلك: إظهار الخفيّ، وإيضاح الظاهر الذي ليس بجليّ، أو حصول المبالغة، أو المجموع.

مثالُ إظهار الخفيّ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزخرف: ٤]؛ فإنَّ حقيقته: (وإنَّه في أصل الكتاب) فاستعير لفظ الأمّ للأصل؛ لأنَّ الأولاد تنشأُ من الأمّ كما تنشأُ الفروع من الأصول. وحكمة ذلك: تمثيل ما ليس بمرئيّ حتى يصير مرئيّاً، فينتقل السامع من حدِّ السَّماع إلى حدِّ العِيان، وذلك أبلغ في البيان.

ومثال إيضاح ما ليس بجليّ ليصير جليًّا: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ٢٤]. فإنَّ المراد أمْر الولد بالذُّل لوالديه رحمةً، فاستعير للذلّ أوّلاً (جانب). ثم للجانب جناحٌ، وتقدير الاستعارة القريبة: واخفض لهما جانب الذل؛ أي: اخفض جانبك ذُلًّا، وحكمة الاستعارة في هذا: جَعْلُ ما ليس بمرئيٍّ مرئيّاً، لأجل حسن البيان. ولمَّا كان المراد خفضَ جانب الولد للوالدين ـ بحيث لا يُبقِي الولدُ من الذل لهما والاستكانة ممكناً ـ احتِيج في الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى؛ فاستُعير لفظ الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل من خفض الجانب؛ لأنَّ مَنْ يميل جانبه إلى جهة السُّفْل أدنى مَيْلٍ صَدَقَ عليه أنه خفَض جانبه، والمراد خفضٌ يلصق الجانب بالأرض، ولا يحصُل ذلك إلَّا بذكر الجناح كالطَّائر.

ومثال المبالغة: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢]، وحقيقته: (وفجَّرنا عيون الأرض)، ولو عبَّر بذلك لم يكن فيه من المبالغة ما في الأوَّل، المشعِر بأن الأرض كلَّها صارت عيوناً.

فرع:

أركان الاستعارة ثلاثة:

مستعار، وهو لفظ المشبَّه به.

ومستعار منه، وهو معنى اللفظ المشبَّه.

ومستعار له، وهو المعنى الجامع.

وأقسامها كثيرة باعتبارات:

فتنقسم باعتبار الأركان الثلاثة إلى **خمسة أقسام**:

أحدها: استعارة محسوسة لمحسوس بوجه محسوس، نحو: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]. فالمستعار منه هو النار، والمستعار له الشَّيب، والوجه: هو الانبساط ومشابهةُ ضوء النار لبياض الشيب، وكلّ ذلك محسوس، وهو أبلغ مما لو قيل: (اشتعل شيب الرأس)؛ لإفادة عموم الشيب لجميع الرأس.

ومثله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩]، أصل الموج حركة الماء، فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة، والجامع: سرعة الاضطراب وتتابعه في الكثرة.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]، استعير خروج النَّفَس شيئاً فشيئاً لخروج النُّور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلاً قليلاً، بجامع التتابع على طريق التَّدْريج، وكلّ ذلك محسوس.

الثاني: استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقليٍّ. قال ابن أبي الإِصبع: وهي ألطف من الأولى. نحو:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧]. فالمستعار منه السَّلْخُ الذي هو كَشْط الجلد عن الشاة، والمستعار له كشف الضَّوء عن مكان الليل؛ وهما حسّيان، والجامع: ما يُعقل من ترتُّب أمر على آخر، وحصوله عقب حصوله، كترتّب ظهور اللحم على الكشط. وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل، والترتُّب أمر عقليّ.

ومثله: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ [يونس: ٢٤]، أصل الحصيد: النَّبات، والجامع: الهلاك، وهو أمر عقليّ.

الثالث: استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي. قال ابن أبي الإصبع: وهي ألطف الاستعارات. نحو: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، المستعار منه الرّقاد، أي: النوم، والمستعار له: الموت، والجامع: عدم ظهور الفعل، والكلّ عقليّ.

ومثله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، المستعار السُّكوت، والمستعار منه الساكت، والمستعار له الغضب.

الرابع: استعارة محسوس لمعقول، بوجهٍ عقلي أيضاً، نحو:

﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة: ٢١٤]، استعير المسُّ وهو حقيقة في الأجسام وهو محسوس؛ لمقاساة الشدَّة، والجامع: اللحوق، وهما عقليّان.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٨]، فالقذف والدمغ مستعاران، وهما محسوسان، والحقُّ والباطل مستعار لهما، وهما معقولان.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]، استُعير الحبل المحسوس للعهد، وهو معقول.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] استُعير الصَّدْعُ، وهو كسر الزجاجة وهو محسوس، للتبليغ وهو معقول، والجامع: التأثير، وهو أبلغ من (بلّغ)، وإن كان بمعناه؛ لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ، فقد لا يؤثر التبليغ، وهو أبلغُ من (بلّغ)، وإن كان بمعناه، لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ، فقد لا يؤثر التبليغ، والصَّدع يؤثّر جزماً.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ٢٤]؛ قال الراغب(١): لمّا كان الذُّلُّ على ضربين: ضرب يضع الإنسان وضرب يرفعه، وقصد في هذا المكان إلى ما يَرفع، استعير لفظ الجناح، فكأنَّه قيل: استعمِل الذُّل الذي يرفعك عند الله.

وكذا قوله: ﴿يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٨]. ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٩]. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٤٥]. ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الطلاق: ١١]. ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. ﴿فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥]. ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]. كلها من استعارة المحسوس للمعقول، والجامع عقليّ.

الخامس: استعارة معقول لمحسوس، والجامع عقليّ أيضاً، نحو: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١] المستعار منه التكبّر وهو عقليّ، والمستعار له كثرة الماء وهو حِسّيّ، والجامع: الاستعلاء، وهو عقليٌّ أيضاً.

ومثله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]، ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢].

وتنقسم باعتبار اللفظ إلى:

أصليَّة: وهي ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس، كآية: ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الطلاق: ١١]. ﴿فِى كُلِّ وَادٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٥].

وتبعيّة: وهي ما كان اللفظ فيها غير اسم جنس، كالفعل والمشتقّات، كسائر الآيات السابقة، وكالحروف، نحو: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨]. شبَّه ترتُّب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب غلبة الغائيّة عليه، ثم استعير في المشبَّه اللّام الموضوعةُ للمشبَّه به.

وتنقسم باعتبار آخر إلى: مرشَّحة، ومجرَّدة، ومطلقة:

فالأولى ـ وهي أبلغها ـ: أن تقترن بما يلائم المستعار منه، نحو: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]؛ استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار، ثم قُرِن بما يلائمه من الربح والتجارة.

والثانية: أن تقرَن بما يلائم المستعار له، نحو: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢]. استعيرَ اللباس للجوع، ثم قرن بما يلائم المستعار له من الإذاقة؛ ولو أراد الترشيح لقال: «فكساها»، لكنَّ التَّجريد هنا أبلغُ، لما في لفظ الإذاقة من المبالغة في الألم باطناً.

---

(١) في «مفرداته» مادة: جنح.

والثالثة: ألَّا تُقْرَنَ بواحد منهما.

وتنقسم باعتبار آخر إلى: تحقيقيّة، وتخييليّة، ومكنيّة، وتصريحيّة.

فالأولى: ما تحقَّق معناها حسّاً، نحو: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ . . .﴾ الآية، أو عقلاً، نحو: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، أي: بياناً واضحاً وحجَّة لامعة، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [فاتحة الكتاب: ٦]، أي: الدين الحق؛ فإن كلًّا منهما يتحقَّق عقلاً.

والثانية: أن يضمَر التشبيه في النفس، فلا يصرّح بشيء من أركانه سوى المشبَّه. ويدلُّ على ذلك التشبيه المضمَر في النفس، بأن يثبت للمشبَّه أمر مختصٌّ بالمشبّه به.

ويسمى ذلك التشبيه المضمَر: استعارة بالكناية، ومكنيّاً عنها؛ لأنه لم يصرَّح به، بل دلَّ عليه بذكر خواصّه.

ويقابله التصريحيّة، ويسمَّى إثباتُ ذلك الأمر المختصّ بالمشبَّه به للمشبَّه: استعارةً تخييلية، لأنّه قد استعير للمشبَّه ذلك الأمر المختصّ بالمشبَّه به، وبه يكون كمال المشبّه به وقوامُهُ في وجه الشبه؛ لتخيّل أن المشبَّه من جنس المشبَّه به.

ومن أمثلة ذلك: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧]، شبَّه العهد بالحبل وأضمر في النفس، فلم يصرِّح بشيء من أركان التشبيه سوى العهد المشبَّه، ودلَّ عليه بإثبات النقض الذي هو من خواص المشبه به وهو الحبل.

وكذا: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]؛ طَوى ذكرَ المشبَّه به وهو النار، ودلَّ عليه بلازمه وهو الاشتعال.

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ . . .﴾ الآية [النحل: ١١٢]، شبَّه ما يُدرَك من أثر الضَّرر والألم بما يُدرَك من طعم المرّ، فأوقع عليه الإذاقة.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]؛ شبهها في ألَّا تقبل الحق بالشيء الموثوق المختوم، ثم أثبت لها الختم.

﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]، شبَّه ميلانَه للسقوط بانحراف الحيِّ، فأثبت له الإرادة التي هي من خواصّ العقلاء.

ومن **التصريحية** آية: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾ [البقرة: ٢١٤] .﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس: ٥٢].

وتنقسم باعتبار آخر إلى:

وفاقية: بأن يكون اجتماعهما في شيء ممكناً، نحو: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، أي: ضالًّا فَهَدَيْناهُ، استعير الإحياء من جَعل الشيء حيًّا للهداية التي بمعنى الدلالة على ما يوصّل إلى المطلوب، والإحياء والهداية ممّا يمكن اجتماعهما في شيء.

وعنادِيّة: وهي ما لا يمكن اجتماعهما في شيء، كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم نفعه، واجتماع الوجود والعدم في شيءٍ ممتنع.

ومن العناد التهكميَّة والتمليحيَّة، وهما ما استعمل في ضدّ أو نقيض، نحو: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، أي: أنذرهم، استُعيرتِ البشارة وهي الإخبار بما يسرُّ، للإنذار الذي هو ضدّه، بإدخاله في جنسها على سبيل التهكُّم والاستهزاء. ونحو: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]. عَنوا الغويّ السفيه تهكّماً .﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

وتنقسم باعتبار آخر إلى:

تمثيلية: وهي أن يكون وجه الشبه فيها منتزَعاً من متعدِّد، نحو: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]؛ شبَّه استظهار العبد بالله ووثوقه بحمايته والنجاة من المكاره باستمساك الواقع في مَهْوَاةٍ بحبل وثيق، مدلًّى من مكان مرتفع يأمن انقطاعه[١].

تنبيه:

قد تكون الاستعارة بلفظين، نحو: ﴿قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥ ـ ١٦]، يعني تلك الأواني ليست من الزجاج ولا من الفضّة، بل في صفاء القارورة وبياض الفضة.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]، فالصبُّ كناية عن الدَّوام، والسوط عن الإيلام، فالمعنى: عذَّبهم عذاباً دائماً مؤلماً.

فائدة:

أنكر قومٌ الاستعارة بناء على إنكارهم المجاز. وقومٌ إطلاقَها في القرآن؛ لأنَّ فيها إيهاماً للحاجة؛ ولأنَّه لم يرد في ذلك إذنٌ من الشرع، وعليه القاضي عبد الوهاب المالكيّ.

وقال الطُّرطوشيّ: إن أطلق المسلمون الاستعارة فيه أَطلقناها، وإن امتنعوا امتنعنا، ويكون هذا من قبيل: (إن الله عالم) والعلم هو العقل، ثم لا نَصِفُه به لعدم التوقيف. انتهى.

فائدة ثانية:

تقدم أن التشبيه من أعلى أنواع البلاغة وأشرفها، واتفق البلغاء على أن الاستعارة أبلغُ منه؛ لأنَّها مجاز وهو حقيقة، والمجاز أبلغ، فإذاً الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة. وكذا الكناية أبلغ من التصريح، والاستعارة أبلغ من الكناية، كما قال في «**عروس الأفراح**»[٢]: إنَّه الظاهر؛ لأنها كالجامعة بين كناية واستعارة، ولأنها مجاز قطعاً. وفي الكناية خلاف.

وأبلغ أنواع الاستعارة **التمثيليةُ**، كما يؤخذ من «**الكشّاف**»، ويليها المكنية، صرَّح به الطِّيبيّ؛ لاشتمالها على المجاز العقليّ.

والترشيحية أبلغ من المجرَّدة والمطلقة.

والتخييلية أبلغ من التحقيقيَّة.

والمراد بالأبلغيَّة إفادة زيادة التأكيد والمبالغة في كمال التشبيه، لا زيادة في المعنى لا توجد في غير ذلك.

---

(١) والقسم الثاني غير تمثيلية.

(٢) الشيخ بهاءُ الدين ٢/٢١٩ الكناية.

خاتمة

من المهمّ تحرير الفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة، نحو: زيد أسد.

قال الزمخشريّ(١) في قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة: ١٨]: فإن قلت: هل يُسمَّى ما في الآية استعارة؟ قلتُ: مختلفٌ فيه، والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة؛ لأن المستعار له مذكور، وهم المنافقون، وإنما تُطْلَق الاستعارةُ حيثُ يُطْوَى ذكر المستعار له، ويُجعل الكلام خلواً عنه، صالحاً لأن يراد المنقول عنه والمنقول له، لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام، ومن ثَمَّ ترى المُفْلِقين(٢) السحرة يَتناسَوْن التشبيهَ ويضربون عنه صفحاً.

وعلَّله السَّكاكي: بأن من شرط الاستعارة إمكان حَمْل الكلام على الحقيقة في الظاهر وتناسِي التشبيه، و(زيد أسد) لا يمكن كونه حقيقةً، فلا يجوز أن يكون استعارة، وتابعه صاحب «**الإيضاح**»(٣).

قال في «**عروس الأفراح**»(٤): وما قالاه ممنوعٌ، وليس من شرط الاستعارة صلاحية الكلام لصرفه إلى الحقيقة في الظاهر.

قال: بل لو عكس ذلك، وقيل: لا بدَّ من عدم صلاحيته لكان أقرب، لأنَّ الاستعارة مجاز لا بدَّ له من قرينة؛ فإن لم تكن قرينة امتنع صرفُه إلى الاستعارة، وصرفناه إلى حقيقته. وإنَّما نصرفه إلى الاستعارة بقرينة: إمَّا لفظيَّة أو معنوية، نحو (زيد أسد)، فالإخبارُ به عن زيد قرينةٌ صارفةٌ عن إرادة حقيقته.

قال: والذي نختاره في نحو (زيد أسد) أنه قسمان: تارة يقصَد به التشبيه، فتكون أداةُ التشبيه مقدَّرةً. وتارة يُقصَد به الاستعارة فلا تكون مقدَّرة، ويكون الأسد مستعمَلاً في حقيقته، وذكر زيد والإخبار عنه بما لا يصلح له حقيقةً قرينةٌ صارفةٌ إلى الاستعارة، دالة عليها.

فإن قامت قرينة على حذف الأداة صرنا إليه، وإن لم تقم فنحن بين إضمار واستعارة، والاستعارة أوْلى، فيُصار إليها.

وممن صرح بهذا الفرق عبد اللطيف البغدادي في «**قوانين البلاغة**». وكذا قال حازم(٥): الفرق بينهما أن الاستعارة وإن كان فيها معنى التشبيه، فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها، والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك؛ لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه.

---

(١) في «الكشاف» ١/ ٢٠٤، البقرة: ١٨.

(٢) قال الزمخشري في «الأساس»: شاعر مُفْلِق: يأتي بالفِلْق وهو العجبُ. مادة: فلق.

(٣) «الإيضاح في علوم البلاغة» للقزويني ص٢٤١ و٢٤٢.

(٤) «عروس الأفراح» ٢/ ١٦١ باب الاستعارة.

(٥) حازم بن محمد القَرْطاجي الأنصاري القرطبي. شيخ البلاغة والبيان، وصاحب كتاب منهاج البلغاء (ت: ٦٨٤هـ). «بغية الوعاة» ١/ ٤٩١، و«شذرات الذهب» ٥/ ٣٨٨.